ترجمة اللورد تِنِسُن

لم تكد تجمع المواد لترجمة الشهير رنان حتّى نعى الينا البرق اللورد تنسن شاعر ملكة الانكليز واكبر شعراء العصر . وهو الشاعر الذي اختلبت اشعارهُ لبَّ قومهِ وكان له اعظم سطوة في نفوسهم . وهو ابن رجل من خدَمة الدين وقد ظهرت عليهِ مخايل النجابة وتوقد القريحة من حداثتهِ فنظم الاشعار الحسان وابرز من مخدرات المعاني كل عروس حسناء . وفوّق اليهِ المتقدمون سهام الانتقاد فكان يتقي بادرة النبال بالتي هي احسن و يستفيد من الانتقاد ولا يقابلهُ بالمشاغبة والمكابرة حتّى انهُ اهمل من دواوينهِ الابيات والقصائد التي خرقتها سهام الانتقاد اذعانًا للحق وعملاً برأي الجمهور . وكان كزهير بن ابي سلمى لا يعرض بيتًا من نظمهِ الاّ بعد ان يُحكم بناءهُ و يبالغ في تهذيبهِ ثم يبرزهُ خالصًا من الضرورات الشعريّة قريبًا من افهام القراء حتّى لا يعتاص عليهم شيء من معانيهِ فكثر قرّاؤهُ واتسعت شهرتهُ رويدًا رويدًا وزاد المعجبون بهِ حتّى تملّك على العقول ورسخت مكانتهُ في النفوس . وكان في سعة من العيش غير مضطر الى السعي والكدح فلم ينظم الاّ عند فراغ الذهن وجمام القريحة . وكان يسكن دارًا رحبةً محاطةً بحديقة غنّاء في مكان بديع المناظر فانفسح لهُ مجال الخيال وجليت على مخيلتهِ عروس الطبيعة بحلاها وحلاها فاتسع لهُ نطاق الوصف وجنى ثمار المعاني دانيات القطوف . وكان يحب العزلة والانفراد ولكنهُ رُزق زوجةً وَدودةً وولدين برّين فابعدوهُ عن العزلة وحببوا اليهِ معاشرة الاصدقاء فاحاط بهِ خلانهُ والمعجبون بهِ احاطة الهالة بالقمر وكثر قصّادهُ من سائر الاقطار حتّى كان يهرب منهم بعض الاحيان الى اطراف البلاد حيث يعسر عليهم اتباعهُ

وكانت ولادتهُ في الخامس من شهر اغسطس سنة ١٨٠٩ وكان لهُ ستة اخوة وهو سابعهم فرباهم ابوهم بين الكتب والدفاتر اما المترجم بهِ فلم يكتفِ بالكتب التي خطتها انامل الناس بل اكبَّ على درس كتاب الطبيعة الذي خطهُ يد الخالق الحكيم في سهول الارض ونجودها وجبالها ووهادها ومروجها وغياضها وبحارها وانهارها فارتوى منهُ ماء زلالاً وادّخر من الصور والمعاني ما ازدان بهِ شعرهُ وتحلّى حتّى اختلب النهى بسحرهِ الحلال . ومثّل للبصائر ابدع ما يرى في تلك السهول والنجود من عرائس الطبيعة ومجالي جمالها فما ابعدهُ عن شعرائنا الذين يصفون نجود نجد وارام ربعة وهم لم يطأوا جزيرة العرب ولا رأوا ريمًا من آرامها . و يتغزلون بآرام العقيق وحاجر و يذرفون عليها دم الحشى والمحاجر وهم لم تكحل

عينهم برؤية عقيق ولا بانوا في منزل من منازل الحاج

قال بعضهم نزلت مرةً ضيفًا على اللورد تنسن فقال لي في احدى الليالي هلمَّ بنا نضرب في عرض البر نستنشق نقي الهواء وكانت الظلمة حالكة والبحر هائجًا وهو على مقربة منّا وامواجهُ تلاطم الصخور وتعلو فوقها حتّى تكاد تزعزعها وكانت الارض مغطاة بالمثلج فاشفقتُ ان يصاب بمكروهٍ ولكنني رأيتهُ مصرًّا على الذهاب فتبعتهُ ولم يسر طويلاً حتّى وقف وجثم على ركبتيهِ فأسرعتُ اليهِ وانا احسب ان داهيةً اصابتهُ فسمعتهُ يقول بنفسج بنفسج اني اشمُّ هنا رائحة البنفسج تعال وشمَّ هذه الرائحة الذكيَّة فيحسن نومك فجثمت بجانبهِ وشممتُ الرائحة معهُ وانا اعجب من بساطتهِ ومحبتهِ للطبيعة

وفاق الاقران في ما اودعهُ شعرهُ من الحكَم والتعاليل الفلسفيَّة وجريهِ مع علوم عصرهِ سواءٌ كانت طبيعيَّة او ادبيَّة او فلسفيَّة وشرحهِ لكثير من الحقائق الدينيَّة شرحًا عربيًا يخلب الالباب . ومن منتخبات اشعارهِ قصيدة عنوانها الصوتان قال فيها ما ترجمتهُ نثرًا

سمعت صوتًا خفيًا يقول اراك بالغمّ مضنى فالموت خيرٌ وأولى . فقلت للصوت مهلاً لستُ لأعدمُ جسمًا صنعة الحكيم القدير . فقال اني أرى ذبابًا خرج من الجب بعد ان شقَّ حجابهُ واذا هو مرتدٍ حلَّة كالصفير فجفَّف جناحيهِ في الشمس وطار في الحدائق والرياض كالشهاب الساطع . فقلت انهُ حينما كوَّن الكون تقلَّب على الطبيعة خمسة ادوار وفي سادسها كوَّنت الانسان واعطتهُ من العقل النصيب الاوفر وسلطتهُ على الخلائق فقال أرى منك عجبًا فقد اعمتك الخيلاء انظر الى السماء لعلَّ ترَ اتساع الكون وانك لتعلم من نفسك ان هذا الكون الذي لا حدَّ لهُ فيهِ ما لا يُحدُّ عددًا ممَّن هم خير منك وممَّن هم دونك أوَ تظن ان هذا الجسم المنعم بالاماني والمخاوف لا نظير لهُ في اجرام السماء التي تعدُّ بمئات الملايين . فقلت لا شيء مثل غيرهِ تمامًا . فقال هازئًا هب اني سلمت لك بذلك فاذا زلتَ من عالم الحس فمن يشعر بزوالك وهل يقلُّ اشراق شعة واحدة من اشعة النور بسبب ذلك . وكنتُ اودُّ ان اقول لهُ ما ادراك ولكن طغى الغمُّ على نفسي وخنقتني العبرات فعاد وقال لي اراك غائصًا في بحار الغموم ولقد كان خيرًا لك لو لم توجَد فالكرب احرمك النوم وشتَّت افكارك حتّى لم تعُد ترى من البكاء بدًّا

فقلت ان الزمان يتقلَّب فاذا عملت بقولك لم يبقَ لي بالسرور مطمع . . . واذا مشيتُ على هذا الاسلوب قال الناس مات جبانًا فأحتقر نفسي . فقال ان الخوف من الموت لأحقرُ من حياة النقص والحسرات . وهذا التردد فيك يزيد خوفك وجبنك فهل يحبك الناس

وهل هم منك بحيث ينغّص عيشك اذا لامرك ولو كنت مدفونًا فاذهب وثِق ان الاذن التي يملأها تراب القبر لا تسمع ما يقال حقًّا كان او بطلاً . فقلت بل غرضي ان احيي الرجاء الذي كان في نفسي حينما كنت اتطلّب مدح الناس حينما كنت كبير النفس قوي الجنان ارحّب بالقتال واتغنّى بهِ واعدُّ له السلاح السيف والترسَ والرمح لكي احارب الاباطيل وانصر الفضائل وانقّب عن شكوك الناس حتّى ينفسح مجال العقل ويتسع نطاق البحث وافتش عن مجاري الحياة واعماق الاحزان في كل ما اراهُ واشعر بهِ فاكتشف النواميس في النواميس ولا اندثر كمنقب الحقول بل ازرع بزورًا صالحة تثمر في الافكار والاعمال ثم اترك هذه الدنيا حينما ينصرم حبل الحياة غير خلقٍ ما أغبط عليهِ نفسي واموت في سبيل صالح فأبكى واُكرَم ويذيع صيتي مثل بَطَل سقط في ساحة القتال فطفحت دموع الظفر على عينيهِ وملأ غبار الحرب اذنيهِ ولكنهُ سمع بهما تهليل النصر من جنود بلادهِ ولم يسلّم روحهُ حتّى دارت الدائرة على اعدائهِ

وهذه المحاورة طويلة وكلّما اوغل القارئ فيها رأى المعاني تزيد دقّة والصور اتساعًا وجلاء حتّى يصل الى النتيجة التي تفرّج الكروب وتطيّب القلوب وقد اقتصرنا في الترجمة على ابيات قليلة من اولها

وآخر ما قرأناهُ من نظمهِ مرثيّةٌ رثى بها دوق كلارنس حفيد جلالة الملكة الذي توفي هذا العام وهي كسائر قصائدهِ في السهولة والبلاغة وحسن انتقاء الالفاظ وهذا ما امتاز بهِ شعرهُ على شعر سواهُ

وعُرف فضل تنسن عند المتكلمين بالانكليزية فجُعل شاعرًا للملكة سنة ١٨٥٠ بعد وفاة شاعرها ورد سورث وخلفهُ لقب لورد سنة ١٨٨٥ وهو اول شاعر انكليزي جعل في عداد الاشراف بسبب شعرهِ . وكان قليل الافصاح في كلامهِ وقراءتهِ يكرهُ مواجهة الناس ولاسيما السياح الذين يقصدونهُ من اقاصي البلاد

وكانت وفاتهُ في السادس من اكتوبر في دارهِ بالدروث ولما بلغ نعيهُ ملكة انكلترا وامبراطورة الهند ارسلت تلغراف التعزية الى ابنهِ وزوجتهِ وهذه ترجمتهُ " حقًّا انني حزينة جدًّا لان الشاعر العظيم والصديق الحميم قد غادر هذه الدنيا فقد كان دائمًا محسنًا اليَّ ومشاركًا لي في السرّاء والضراء واني حزينة جدًّا لاجل امك العزيزة ولاجلك انت ابنهُ الاكبر "

وكانت المواعظ التي وعظت في كنائس انكلترا يوم الاحد التالي شكرةَ البر والى فضائلهِ وتقواهُ واختصاصهِ بهبات الهبة . ودُفن في الثاني عشر من الشهر في وستمنستر حيث دفن

اشهر علماء الانكليز وشعرائهم ومشى في جنازته اكبر عظمائهم وعلمائهم مثل دوق ارجيل ومركيز دفرن وارل سليبرن واللورد كانن والاستاذ جوت . وارسلت المدارس الجامعة في اكسفرد وكمبردج وايدنبرج وغلاسكو نوّابًا عنها وهم كلفن وهكسلي وايفانس وفوستر وغيكي ولكبير ورثاه الشاعر الفرد اوستن الذي يظنّ انهُ يخلفهُ في منصبهِ برثاة طويلة قال فيها ان انكلترا تبكي عليهِ لا بدموع الحزن والمرارة بل بدموع بهطل كالوسمي (مطر الربيع) الذي يحيي ازهار الربيع

طب المعادن

نقل الينا بعض الذين ذهبوا الى اوربا في الصيف الماضي وشاهدوا غرائب باريس انهم رأوا الاطباء يداوون بالمعادن فيضعون قطعة من المعدن على عضو انسان ويجرون فيها المجرى الكهربائي فيزول الالم من ذلك العضو او ينتقل من عضو الى آخر او من شخص الى آخر . فلم نعجب مما رووهُ لنا بل من بناء هذه الخرافات الى يومنا هذا وصبرها على نار البحث والانتقاد التي تمحص التعاليم والاراء . فان طب المعادن هذا ابتدع في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن واستولى على عقول العامة والخاصة في اوربا واميركا . ففي سنة ١٧٨٥ اكتشف غلفني السيّال الكهربائي من اتصال معدنين فشاع للحال ان هذا السيال يشفي من جميع الامراض وبعد نحو عشر سنوات قام الدكتور بركنس في كنكتيكت احدى ولايات اميركا وادّعى انهُ اكتشف معدنين يوصلهما بقوة خفيّة فيطيران بجذبان المرض من المريض فيشفى حالاً وتعود اليهِ القوة الحيوية بمجرّد ذلك اعضائهِ بهما واذا لم يزيلا المرض تمامًا خففاهُ كثيرًا . وحملت الجرأة هذا الرجل حتّى استدعى علماء الارض الى المناظرة والمساجلة ودليلهُ على صحة دعواهُ الذين شفاهم بمعدنيهِ

وكان علم الفلسفة في ذلك العصر مستعدًّا لقبول الغرائب والتسليم بها وعقول البسطاء خالية من دواعي الشك والانتقاد ونفوس اهل الهوس اطوع من مطيّة الركاب تنقاد بكل ريح تعليم كريشة يهبّ الرياح فتأثر بما حولها واذاعوا صيتهُ فلم تمضِ سنتان حتّى طبق البلاد واقرّت ثلاث مدارس طبية على فائدة هذين المعدنين ونصرهُ عدد عديد من القسوس واعضاء مجلس النوّاب ورجال الحكومة ونال براءة من الحكومة ممضاة بامضاء وشنطون رئيسها الاول اقرارًا بفضلهِ ونفع اكتشافهِ لنوع الانسان